

أكتوبر 2024.. اليوم الذي عاد فيه الشغال إلى واجهة الدولة 30

في مساء 30 أكتوبر 2024، أدى رئيس الجمهورية قيس سعيّد زيارة غير معلنة إلى هنشير الشغال بولاية صفاقس

وكانت الزيارة لحظة سياسية وفلاحية لافتة

فقد أكد رئيس الجمهورية أنه لا مجال للتفريط في ملك الشعب التونسي، وربط ذلك بمواصلة الحرب على الفساد

وكانت الرسالة واضحة: هذه الأرض ليست مجرد عقار، بل ثروة عمومية يجب أن تؤدي وظيفتها الإنتاجية

وقد جاء ذلك في وقت كان فيه المركب يعاني من عدة إشكاليات، ما جعل الزيارة تفتح مرحلة جديدة من الاهتمام بإعادة الاعتبار للمكسب وإصلاح منظومة التصرف فيه

ومن هنا بدأ السؤال الحقيقي

كيف يمكن تحويل الاهتمام السياسي إلى إنتاج فعلي؟

88 جراراً.. عندما تبدأ عملية الإصلاح من الأرض

كان تحديث المعدات إحدى الخطوات البارزة في مسار إعادة التأهيل

ففي 2026، تم دعم المركب بمعدات فلاحية جديدة في إطار التعاون التونسي الإيطالي، من بينها 88 جراراً فلاحياً، إلى جانب عربات وصهاريج وتجهيزات أخرى، في إطار برنامج يهدف إلى تحديث وسائل الإنتاج وتعزيز الميكنة

بالنسبة إلى مركب يمتد على عشرات آلاف الهكتارات، لا يمثل الجرار مجرد آلة

إنه جزء من سلسلة الإنتاج: خدمة الأرض، التقليم، النقل، الصيانة، الجني، نقل المحاصيل، والقيام بالأعمال الزراعية في الوقت المناسب

ففي الفلاحة، التأخير له كلفة

وكل يوم تتعطل فيه عملية جني أو خدمة أو نقل يمكن أن ينعكس على الإنتاج والجودة

أرقام الإصلاح 88 جراراً جديداً

دفعة من المعدات الفلاحية الجديدة دعمت بها منظومة الإنتاج في الشغال، ضمن مسار تحديث الميكنة وتحسين ظروف العمل والإنتاج

ثلاث معاصر تعود إلى الدوران

إذا كانت الجرارات تعيد الحياة إلى الأرض، فإن المعاصر تعيد القيمة إلى المحصول

وفي موسم 2025-2026، تمت إعادة تهيئة وتشغيل ثلاث معاصر داخل المركب، بطاقة عصر يومية بلغت حوالي 250 طناً من الزيتون

وقد أفضى الموسم إلى إنتاج 17,560 طناً من الزيتون وقرابة 4,200 طن من زيت الزيتون

هذه الأرقام تمثل أكثر من مجرد نتيجة موسم

إنها دليل على أن إعادة تشغيل حلقات التحويل يمكن أن تعيد جزءاً مهماً من القيمة إلى داخل المركب

فبدلاً من بيع الزيتون كمادة أولية، يمكن إنتاج الزيت وتخزينه وتثمينه وتسويقه

وهنا يصبح الشغل قادراً على استعادة مفهوم السلسلة الفلاحية المتكاملة الذي عرفه منذ بداياته

أرقام الموسم 17,560 طن زيتون إلى 4,200 طن زيت

إنتاج موسم 2025-2026 بعد إعادة تشغيل ثلاث معاصر بطاقة إجمالية بلغت حوالي 250 طناً من الزيتون يومياً

من المعصرة إلى المستهلك

لا تنتهي قصة الإنتاج عند بوابة المعصرة

فالمنتج يحتاج إلى تخزين، وجودة، وتثمين، وتسويق

ولهذا تكتسي قنوات البيع المباشر أهمية خاصة بالنسبة إلى منتجات الشغل

فالزيت والحليب والبيض واللحوم وغيرها من المنتجات يمكن أن تجد طريقاً أقصر إلى المستهلك، بما يقلل عدد الوسطاء ويمنح المنتج قيمة أفضل

والخطوة التالية التي يمكن التفكير فيها هي بناء هوية تجارية متكاملة لمنتجات الشغل، تستند إلى تاريخ المركب، وجودة الإنتاج، وكونه جزءاً من الملك العمومي التونسي

فلماذا لا يكون لزيت الشغل، وفستقه، ومنتجاته الحيوانية، علامة واضحة وهوية موحدة وقصة تروي للمستهلك رحلة المنتج من الأرض إلى المائدة؟

موسم لاختبار الإصلاح ..2026-2027

يدخل الشغل الموسم الفلاحي 2026-2027 وهو يحمل إرثاً ثقيلاً وطموحاً أكبر

الإرث هو أكثر من قرن من الغراسة والتجربة

والطموح هو تحويل هذا الإرث إلى منظومة حديثة

التحضير للموسم الجديد لا يعني فقط انتظار موسم الزيتون

إنه يبدأ من صيانة الأشجار، وخدمة الأرض، وإعداد المعدات، وتنظيم عمليات الجني، وتأمين اليد العاملة، وتجهيز المعاصر، ومتابعة شبكات الري والآبار، وتوفير الأعلاف، ومتابعة القطيع، وإعداد مخازن الإنتاج، ثم التفكير في التسويق قبل وصول المحصول إلى السوق

وهنا ستكون المعدات الجديدة عاملاً مهماً، كما ستكون استمرارية تشغيل المعاصر الثلاث ومتابعة برامج تربية الحيوانات وتثمين المخلفات عناصر أساسية في الموسم المقبل

لكن التحدي الأكبر يبقى الماء والغابة

فلا يمكن أن يستمر الشّغال بالمنطق نفسه الذي حكمه قبل نصف قرن
المناخ تغير، وكلفة الإنتاج تغيرت، والأسواق تغيرت، والتكنولوجيا تغيرت
والحل لا يكمن في إنتاج أكثر بأي ثمن، وإنما في إنتاج أكثر بقليل من الموارد المتاحة

تجديد الغابة.. مشروع أجيال لا موسم واحد

يمكن شراء جرار في أشهر
ويمكن إعادة تشغيل معصرة في موسم
لكن لا يمكن إنشاء غابة زيتون جديدة في سنة واحدة
لهذا فإن تجديد الغراسات الهرمة سيكون من أصعب وأهم ملفات مستقبل الشّغال
المطلوب هو تجديد تدريجي ومدرّوس، وتعويض الأشجار الميتة، واختيار الغراسات الأكثر ملاءمة للمناخ، وتحسين
خصوبة التربة، واعتماد تقنيات اقتصادية في استعمال المياه
كما يمكن أن يتحول الشّغال إلى فضاء لتجريب حلول جديدة في الزراعة المتأقلمة مع التغير المناخي: مراقبة رطوبة
التربة، الري الذكي، الطاقة الشمسية، تسمين المخلفات، الزراعة المحافظة، وتحسين إنتاجية الأشجار
فمزرعة بهذا الحجم ليست مجرد منتج
يمكن أن تكون أيضاً مختبراً وطنياً للابتكار الفلاحي

إدارة 31 ألف هكتار.. ليست إدارة ضيعة

ربما تكون هذه هي المسألة الأكثر أهمية في مستقبل الشّغال
فإدارة مساحة تناهز 31,700 هكتار تحتاج إلى عقلية مختلفة
كل شجرة يجب أن تكون جزءاً من منظومة معلومات
كل هكتار يجب أن تكون له معطيات عن المردودية والمياه والتربة
كل قطيع يجب أن يخضع لمؤشرات إنتاجية وصحية وتناسلية
كل جرار يجب أن تكون له رزنامة استعمال وصيانة
وكل معصرة يجب أن تراقب كلفتها وطاقة تحويلها وجودة إنتاجها
وكل مخلف يجب أن يُسأل: هل هو نفاية أم مورد؟
إنها، في النهاية، إدارة منظومة فلاحية متكاملة، لا مجرد إدارة عقار واسع

وهنا يمكن أن يكون الشغل مدرسة حقيقية في إدارة الأراضي الدولية

من ذاكرة الأرض إلى اقتصاد المستقبل

منذ 1897، تغير الكثير

تغيرت الدولة، وتغيرت الملكية، وتغيرت التكنولوجيا والأسواق، وتغير المناخ

لكن شيئاً واحداً بقي ثابتاً: الأرض

الأرض التي عُرس بالزيتون في بداية القرن العشرين ما زالت تنتج

والأشجار التي شهدت ولادة المعاصر الأولى ما زالت شاهدة على تاريخ طويل

واليوم، بعد زيارة رئيس الجمهورية في 2024، وبعد إعادة تشغيل ثلاث معاصر، وبعد دعم الميكنة بالمعدات الجديدة، وبعد تطوير الأنشطة الحيوانية وتأمين المخلفات، يدخل الشغل مرحلة جديدة

لكن نجاح هذه المرحلة لن يقاس بعدد الجرارات وحده

ولن يقاس بكمية الزيت التي ينتجها موسم واحد

سيُقاس بقدرة المركب على رفع إنتاجية الهكتار، وتجديد الغابة، وترشيد الماء، وتحسين مردودية القطيع، وتأمين المخلفات، وتقليص كلفة الإنتاج، وتطوير التصنيع، وتحسين التسويق

إذا تحقق ذلك، فلن يكون الشغل قد استعاد مجرد موسم فلاحي

سيكون قد استعاد منظومة إنتاج كاملة

وربما هنا تكمن القيمة الحقيقية لهذا المكسب

فهنشير الشغل ليس مجرد مساحة شاسعة من الأرض في صفاقس، ولا مجرد غابة زيتون تاريخية

إنه تجربة عمرها أكثر من قرن، تختصر جزءاً من قصة الزراعة التونسية نفسها: من الفلاحة التقليدية إلى الاستغلال الكبير، ومن الملكية الاستعمارية إلى الملكية العمومية، ومن الزراعة البعلية إلى تحديات التغير المناخي، ومن الإنتاج الأولي إلى التحويل والتأمين

وفي موسم 2026-2027، سيكون الرهان أن تتحول هذه الذاكرة إلى مستقبل

أن تعود الأرض إلى الإنتاج، وأن تصبح الشجرة أكثر قدرة على الصمود، وأن يصبح الماء أكثر قيمة، وأن تتحول كل حبة زيتون وكل رأس ماشية وكل مخلف فلاحي إلى جزء من دورة اقتصادية متكاملة

..عندها فقط، يمكن القول إن الشغل لم يستعد عافيته فحسب، بل بدأ يكتب فصلاً جديداً من تاريخه